ان الاعتداد بالنفس والانانية يقتلان اسرة لير كلها . ولكن فظاعة الحياة تتجلى في كون تيارها لايفرق بين المذنب والبريء ، كون الشر الذي يحمله الناس الى العالم أقوى. منهم فلا يستطيعون التكفير عن الذنب الذي ارتكبوه بحق أنفسهم وحق غيرهم .

ومكبث شرير ولكنه يختلف عن ياغو (في عطيل) أوادموند (في « الملك لير ») . ياغووادموند لايعترفان بالخير . والشر بالنسبة اليهما طبيعي . وليس عندهما ضمير أوشرف . أما مكبث فيفرق بين الخير والشر . وهو يعرف انه عندما يقتل دنكان يخالف قوانين الأخلاق التي يؤمن بقيمتها . أضف الى ذلك انه يعرف قبل أن يرتكب جريمته ، الآلام النفسية التي تنتظره وعلى الرغم من ذلك يقرر الاقدام عليها . ان شيطان حب السلطة يتفوق على الضمير والخوف من العقاب الأخلاقي . ويفقد مكبث الطمأنينة الى الأبد بعد قيامه بجريمة القتل القذرة ويكف عن تصديق الآخرين ويستولي الشك على نفسه . فبشرع يرى في كل من حولـه أعداء محتملين فيبطش بهم دون رحمة . لقد توصل الى السلطة ولكنه فقد القدرة على الاستمتاع بها . انه يثير الشعب والامراء ضده ويستمر في المقاومة حتى النهاية . ومكبث ، حين يدرك فظاعة مافعله وعدم جدواه بعد أن تحولت حياته الى كابوس دموي رهيب ، لايستسلم . حتى عندما يرى الجميع قد انقلبوا ضده بواصل النضال لأن روحه روح بطل وان كانت جرائمه تلطخها ..

لاتكتفي تراجيديات شكسبير بتصوير مصرع الشخصية وانهيارها . ان أبطال هـذه التراجيديات أناس غير عاديين يتمتعون بقوى نفسية عملاقة . انهم يخطئون ويسقطون ولكنهم ، برغم ذلك يثيرون اهتمام المشاهد . ففيهم صفات وقدرات انسانية لايمكن الا أن تجتذب المرء ولو قليلا ، وعلى الرغم من أن هذه التراجيديات تكشف لنا عن عدم كمال الناس وعن أخطائهم وجرائمهم فان الانطباع الذي تتركه ليس متشائما .

والسر في ذلك هو أن هؤلاء الأبطال يحافظون على قيمتهم الانسانية حتى في سقوطهم . ان شكسبير لايدفعنا الى مناقشة ابطاله أخلاقيا بقدر مايسعى الى تقريبنا من فهم الطبيعـة الانسانية بغض النظر عن كون المشاهد مؤمنا بالاخلاق الدينية أومتحللا من قيد تلك الأخلاق . وفي تراجيديات شكسبير لايبرز جبروت الانسان فحسب ، بل يتجلى جماله أيضا .

لقد آمن شكسبير بالانسان ومن هذا الايمان اغترف شكسبير الأمل بامكانية الانتصار على الشر . والافكار المتعلقة بذلك تملأ مسرحياته الأخيرة حيث تتراجع الواقعية تاركـة